مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بجامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.
المجلد: 10/ العـدد: 01 جوان (2026)، ص.ص237-245

النقد الأدبي العرفاني؛ فروعه ومرجعياته
Cognitive Literary Criticism: Its Branches and References

عيشونة لمياء
aichouna.lemya@univ-guelma.dz
جامعة 08 ماي 1945 -قالمة-
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2026/03/01 تاريخ القبول: 2026/05/23 تاريخ النشر: 2026/06/02

ملخص:
تكشف هذه الورقة البحثية طبيعة العلاقة التي تربط اللسانيات العرفانية بالنقد الأدبي، وتقدم مدخلا نظريا حول النقد الأدبي العرفاني الذي نتج عن تلاقح معرفي يهدف إلى الجمع بين جمالية النقد وعلمية المبحث العرفاني في دراسة اللغة. وتهدف إلى تعريف النقد الأدبي العرفاني، ورصد أهم مصطلحاته وفروعه، ومداخله في قراءة الأدب، كما تكشف عن دور العمليات العقلية في قراءة النص الأدبي.
أسفرت هذه الورقة عن نتيجة مفادها أن النقد الأدبي غير مساره ومجال اهتمامه وجهازه الاصطلاحي بعد تداخله مع اللسانيات العرفانية، حيث تحول إلى مقاربة بينية تُعلي من قيمة الذهن، وتُفيد من كشوفات العلوم العرفانية في فهم النص الأدبي وتأويله.
كلمات مفتاحية: اللسانيات العرفانية، النقد العرفاني، اللغة، الذهن، التأويل.

Abstract:
This research paper explores the nature of the relationship between cognitive linguistics and literary criticism, providing a theoretical introduction to cognitive literary criticism. This criticism is the result of an epistemological cross-fertilization that aims to combine the aesthetics of criticism with the scientific nature of the cognitive approach in language studies. The paper aims to define cognitive literary criticism, trace its key terminology and branches, and outline its approaches to reading literature. It also reveals the role of mental processes in reading the literary text.
The paper concludes that literary criticism has changed its trajectory, field of interest, and terminological system following its intersection with cognitive linguistics. It has transformed into an interdisciplinary approach that elevates the status of the mind and benefits from the findings of the cognitive sciences in understanding and interpreting the literary text.
Keywords: *Cognitive Linguistics; Cognitive Criticism; Language; Mind; Interpretation.*

-مقدمة:
أحدث التلاقح المعرفي الذي جمع بين النقد الأدبي واللسانيات العرفانية تحولًا جذريًا في خارطة النقد الأدبي؛ الذي انصرف عن البحث في جمالية الأدب، واهتم بالمدخل العرفاني في تفسير النص الأدبي؛ حيث أمدّت اللسانيات

العرفانية الحقل النقدي بآليات جديدة لمقاربة النص الأدبي، وكانت له سندًا نظريًا ومنهجيًا مكّنه من اجتراح مداخل جديدة لفهم النصوص وتأويلها.

تمخض النقد الأدبي العرفاني عن تداخل معرفي جمع بين البحوث التي ركزت على دراسة الذهن البشري، والنظرية الأدبية التي استفادت من العلوم العرفانية في طرح أسئلة عن العمليات الذهنية المصاحبة لفهم النصوص الأدبية وتأويلها.

إن هدفنا من هذا البحث هو التعريف بالنقد الأدبي العرفاني، وتبيان أهم مرجعياته المعرفية وفروعه النقدية، وتوضيح العلاقة التي تربطه باللسانيات العرفانية.

أما إشكالية البحث فتمحورت حول سؤال جوهري عن كيفية استثمار النقد الأدبي العرفاني للحمولة المعرفية التي أمدّته بها اللسانيات العرفانية، وحول أهم التحولات التي مسّت الدرس النقدي، سواء ما تعلّق بجهازه الاصطلاحي، أم بالآليات المتّبعة في عملية تأويل النصوص الأدبية وقراءتها من منظور عرفاني. وبناءً على إشكالية البحث، يمكن طرح الأسئلة الآتية:

- ما المقصود بالنقد الأدبي العرفاني؟ وكيف استفاد النقد الأدبي من اللسانيات العرفانية؟
- ما أهم فروع النقد الأدبي العرفاني؟ وما أبرز مرجعياته المعرفية؟
- ما أهم المفاهيم التي استعارها النقد العرفاني من اللسانيات العرفانية؟ وكيف وظّفها في تحليل النص الأدبي؟

وللإجابة عن إشكالية البحث، وظّفنا إجراءات نقد النقد في مساءلة جوهر هذه المقاربة النقدية التي تجمع بين علمية العرفانيات وجمالية النقد الأدبي، والبحث في المرجعيات المعرفية التي قام عليها النقد الأدبي العرفاني؛ الذي استعار جهازه الاصطلاحي من اللسانيات العرفانية، ووظّف البحوث التي تربط اللغة بالذهن في تفسير النصوص الأدبية.

- أولا: العلوم العرفانية (Cognitive Sciences)

العلوم العرفانية حقل معرفي جديد ظهر في منتصف السبعينيات، وهو علم يجمع بين تخصصات علمية مختلفة؛ "بعضها وصفي وتجريبي (كعلم النفس المعرفي، واللسانيات، وعلم الأعصاب، والأنثروبولوجيا المعرفية)، والبعض الآخر تأملي وتأسيسي (كالفلسفة)، والبعض الآخر تأملي وتطبيقي معا (كالذكاء الاصطناعي)"[1]، وتلتقي هذه العلوم في نقطة مشتركة؛ هي البحث في الذهن البشري وفي طريقة تعامله مع المعرفة من حيث الإنتاج، والاستقبال، والمعالجة، والتوظيف.

تسعى العلوم العرفانية إلى "وضع أسس تفسيرية للأنسقة التصورية واللغة في الدراسة العامة للدماغ والذهن"[2]، وقد ركزت هذه العلوم على تفسير العمليات العقلية المسؤولة عن إنتاج المعرفة وتحليلها، وتوصلت إلى نتيجة مفادها أن المخ البشري يقوم بمعالجة وتحليل المعلومات الوافدة إليه عبر وسائط مختلفة.

تعد اللسانيات العرفانية (**Cognitiv Linguistics**) فرعًا من العلوم العرفانية؛ وهي علم يهتم بـ "دراسة العلاقة بين اللّغة البشرية والذّهن والتّجربة بما فيها الاجتماعي والمادّيّ البيئيّ"[3]؛ فهي تقوم على العلاقة الثلاثية: اللغة، والذهن، والتجربة. وتنطلق من مقولة مفادها أن اللغة غير مستقلة عن الذهن والإدراك.

لا يتعامل الذهن البشري مع اللغة باعتبارها ملكة مستقلة عن باقي الملكات الأخرى، ولا يوجد عضو في الذهن يختص باللغة وحدها؛ لأن "اللغة مثل سائر الأنشطة الرّمزيّة إنما هي وليدة نشاط عرفيّ مركوز في المولدة العرفنيّة العامّة"[4]؛ بمعنى أن اللغة جزء من القدرات الذهنية التي يمتلكها البشر، وبواسطتها نبني تصوراتنا حول العالم من خلال التجربة الحسية.

- ثانيا: اللسانيات العرفانية والنقد الأدبي

إن العلاقة بين اللسانيات والنقد الأدبي "علاقة متينة لا يمكن إخفاؤها بداية من الأسلوبيّة ووصولا إلى المناهج ما بعد البنيوية واستفادتها من اللسانيّات التداوليّة ولسانيات النص ولسانيات الخطاب واللسانيّات الوظيفية وغيرها"[5]، وقد أدى التلاقح المعرفي الذي جمع بين اللسانيات والنقد الأدبي إلى تخليص النقد من الأحكام الانطباعية والذوقية، ووسمه بالموضوعية والعلمية؛ لأن اللسانيات مبحث علمي محض، ويضاف إليه دقة العلوم العرفانية التي تبني نتائجها على

التجارب المخبرية المدعّمة بأحدث التكنولوجيات المتاحة، ولا شك أن استفادة حقل الأدب والنقد من هذه البحوث سيدخل النقد مضمار الفرضية والتجربة.

مع ظهور العلوم العرفانية، التي تقوم على التداخل الاختصاصي، دعا الباحثون إلى ضرورة إفادة العلوم بعضها من بعض؛ فقد حان الوقت لندرك "أن «تلك الجزر المنعزلة» في مؤسساتنا الأكاديمية آن لها أن تفيق من سباتها وتدرك أننا في عصر «التداخل الاختصاصي»!"[6]، وقد أدى تداخل الاختصاصات إلى بروز حقول معرفية جديدة أفادت من بعضها البعض، واجترحت مناهج جديدة عبرت عن جدوى تقارب العلوم وتلاقح المعارف.

بعد ظهور اللسانيات العرفانية أفاد النقد الأدبي من بحوثها، وظهرت «عدد من الأنظمة العلمية الفرعية؛ مثل: البلاغة الإدراكية، والشعريات الإدراكية، والأسلوبيات الإدراكية، والدراسات الأدبية الإدراكية"[7]؛ وهذه الفروع مجتمعة هي ما أطلق عليه النقاد -فيما بعد- تسمية "النقد الأدبي العرفاني".

- ثالثا: تعريف النقد الأدبي العرفاني

مع ظهور العلوم المعرفية التي تقوم على تداخل الاختصاصات، وارتباط الدراسات اللسانية الحديثة بالعلوم المعرفية تحت مسمى ما يعرف اليوم بـ "اللسانيات العرفانية"، ظهرت أسئلة جديدة عن علاقة العلوم الإنسانية بالعلوم المعرفية؛ كعلم الأعصاب، والذكاء الاصطناعي، وعلم النفس المعرفي، وغيرها. ولم يقف الأدب بعيدا عن هذه الأسئلة، خاصةً بعد دعوى الاستفادة من هذا العلم في أقسام الأدب.

يرتبط تعريف النقد الأدبي العرفاني بمفهوم "«العقل الأدبي **Literary mind**»، كيف يعمل؟ وكيف يتجلى في النص؟ وكيف يتم تلقيه وفهمه. وفي ضوء تلك المقاربات الإدراكية ينبغي أن يعاد النظر في جملة من القضايا الشهيرة في النظرية الأدبية»[8]؛ فالنقد الأدبي العرفاني ينطلق من ربط المعنى في النص الأدبي بالذهن والإدراك، وبالعمليات العقلية المصاحبة لعملية القراءة والفهم والتأويل، كما يوظف نتائج اللسانيات العرفانية في مقاربة النص؛ لأن اللغة تسهم في بناء المعنى في النص الأدبي.

يُعرّف "محمد مفتاح" النقد الأدبي العرفاني بأنه نقد "سيكون سداه ولحمته مفاهيم مستوحاة من المنطق الرياضيات واللسانيات، والسيميائيات، والعلوم المعرفية، وفلسفة الذهن، وهي كما يدرك حكماء هذه الأمة علوم العصر"[9]؛ فهذا المجال المعرفي هو نتيجة حتمية للتقارب الذي حدث بين العلوم العرفانية والنقد الأدبي، وهو بحث يربط بين الذهن ولغة الخطاب الأدبي في محاولة لتفسير عملية القراءة بربطها بكشوفات علم الأعصاب وعلم النفس العرفاني.

يطرح النقد العرفاني أسئلة جوهرية عن إمكانية "الحديث عن مناويل عرفانيّة واضحة لمقاربة الخطابات الأدبيّة كتلك المناويل البنيويّة والسيميائيّة مثلًا أم نحن بإزاء مداخل واجتهادات فرديّة لم تتبلور بعد في مناويل ولم تتشكّل تشكّلًا نهائيًا؟"[10]. والحقيقة أن النقد الأدبي العرفاني لم يستقل بعد كمنهج نقدي واضح المعالم والإجراءات، بل هو مباحث متفرقة في كتب بعض المشتغلين في حقل اللسانيات العرفانية، بالإضافة إلى مقالات فردية تفرّق بدايةً بين فروع هذا النقد؛ كالشعرية العرفانية، والأسلوبية العرفانية، وتلك البحوث التي تُقارب فعل القراءة من منظور اللسانيات العرفانية.

- رابعا: مصطلح النقد الأدبي العرفاني

يتقاسم النقد الأدبي العرفاني تسميته مع العديد من المصطلحات التي ظهرت في الساحة النقدية والأدبية، والتي تنطلق من الجمع بين مبحث اللسانيات العرفانية وقضايا الأدب والنقد؛ وهذه المصطلحات هي: "الشعريات الإدراكية **Cognitive Poetics**، والأسلوبيات الإدراكية **Cognitive Stylistics**، والنقد الأدبي الإدراكي **Cognitive Literary Criticism**، والدراسات الأدبية الإدراكية"[11]. ويعود سبب تعدد هذه المصطلحات إلى حداثة هذه المقاربة البينية التي تجمع بين حقل اللسانيات العرفانية والدراسات الأدبية والنقدية.

اختار "محي الدين محسب" في كتابه (الإدراكيات) مصطلح "النقد الأدبي الإدراكي" بديلًا لمصطلح "الشعرية الإدراكية"، ورأى أن المصطلح "أكثر نجاعة في تجسيد الدلالة على الربط بين الإدراكيات والتأويل الأدبي"[12]؛ وفسر هذا الاختيار باهتمام تلك المباحث بالقارئ على حساب الأدب، بينما هدف النقد الأدبي العرفاني هو استثمار مقولات العلوم المعرفية في الإجابة عن الأسئلة المتكررة التي تجمع بين الفن، واللغة، والأدب.

أما سبب استبعاد مصطلح "الشعريات الإدراكية"؛ فهو تركيزه على النص الأدبي، والاستراتيجيات اللغوية الإدراكية، والعمليات الذهنية التي يستعملها القراء في مقاربة النصوص الأدبية. في حين تم استبعاد مصطلح "الأسلوبية الإدراكية" بسبب الجدل القائم حوله، وحول حقيقة انتمائه إلى اللسانيات الإدراكية أم إلى علم نفس القراءة الإدراكي.[13] فالأسلوبية التقليدية تنهل من اللسانيات، وتستثمر مقولاتها في مقاربة النصوص الأدبية، وارتباطها بالعرفانيات يقربها أكثر من النقد اللغوي.

- خامسا: نشأة النقد العرفاني

تعود النشأة الفعلية للنقد الأدبي العرفاني إلى ظهور مبحث "الشعرية العرفانية"؛ حيث "يذهب إلى أن التقليد الذي يقضي بتطبيق آخر ما توصلنا إليه من فهم أفضل للغة والذهن على الأدب تقليد يضرب بجذوره في علم البلاغة الكلاسيكي القديم؛ فإن التعبير الحالي عن هذه الظاهرة يعود على تناول تسور **Tsur** للشعرية العرفانية في السبعينات من القرن المنصرم"[14]؛ فالشعرية العرفانية هي أول منهج نقدي يجمع بين بحوث اللسانيات العرفانية حول اللغة والذهن، وبين الأدب والفن، وهي التطبيق الفعلي للدراسات البينية المعاصرة التي تؤمن بتداخل الاختصاصات وضرورة الاستفادة من كشوفات العلوم العرفانية.

ارتبطت نشأة النقد الأدبي العرفاني بالبحوث الأولى لأعلام اللسانيات العرفانية، وقد تميز حضور النص الأدبي في كتب هؤلاء الأعلام بعدة خصائص، نذكر منها:

"أوّلًا: أنّه حضور جزئيّ. فالشّواهد التي يُؤتى بها في هذه الكتب شواهدُ مقتطَعة مقتضبة، لا تتجاوز الجملة أو الفقرة في أفضل الحالات.

- ثانيا: يُؤتى بهذه الشّواهد لإثبات الظّاهرة اللّسانيّة أو العرفانيّة التي يشتغل بها الباحث والاستدلال عليها.

- ثالثا: لا نجد في هذه المرحلة اشتغالا على الخطابات الشّعريّة أو الأدبية عامّة، ولا كان الخطاب الأدبيّ مقصودًا لذاته.

- رابعا: لا تبحث هذه التحاليل الجزئيّة فيما يميّز النّصّ الأدبي وما يخلق خصوصيّته وتفرّده، إذ تركّز على ظواهرَ لا تتعلّق بالأدب قصرًا، بل على العقل والعرفان واللغة"[15].

وفي أواخر الثمانينيات، بدأت مرحلة جديدة للنقد الأدبي العرفاني، وأصبح النص الأدبي هدفًا في حد ذاته؛ حيث أدى التلاقح المعرفي الذي حدث بين اللسانيات العرفانية والنقد الأدبي إلى ظهور مناهج نقدية عُدّت فروعًا للنقد العرفاني. وهذه الفروع هي: الشعرية العرفانية، والسرديات العرفانية، والسيميائيات العرفانية. كما ظهرت مقاربات أخرى تمزج بين اللسانيات العرفانية وتحليل الخطاب.

- سادسا: فروع النقد الأدبي العرفاني

أثمر التداخل الذي جمع بين المناهج النقدية والعلوم العرفانية ظهور فروع نقدية تجمع بين الإجراءات النقدية التقليدية والمداخل العرفانية في تفسير النصوص وتأويلها. وأهم هذه الفروع هي: الشعرية العرفانية، والسرديات العرفانية، والسيميائيات العرفانية، وبحوث تحليل الخطاب من منظور عرفاني.

1/ الشعرية العرفانية (Cognitive Poetics)

تُعدّ الشعرية (أو الأسلوبية) العرفانية أحد فروع النقد العرفاني؛ وهي "نظرية في الأدب تتأسس على كل من لغة النصوص الأدبية والاستراتيجيات اللغوية الإدراكية التي يستعملها القراء لفهم هذه النصوص"[16]. وإذا كانت الأسلوبية التقليدية تُعنى بالانزياح والعدول في تمييزها بين اللغة الشعرية واللغة اليومية، فإن الشعرية العرفانية تهتم بدراسة عرفان القارئ والعمليات الذهنية المرافقة لعملية قراءة النصوص الأدبية وتحليلها.

تُنسب الشعرية العرفانية إلى الباحث «تسور» (**Tsur**) الذي "قدم تفسيرا للمعنى والتأثير الأدبيين، اعتبر فيه الأنماط اللغوية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالإدراك البشري"[17]؛ فالشعرية العرفانية تسعى إلى تقديم مداخل جديدة في قراءة النص الأدبي استنادًا إلى نتائج اللسانيات العرفانية التي ترى أن أقوالنا هي متصورات وتمثيلات ذهنية، وترى أن الكلام الأدبي لا يختلف عن الكلام العادي، وأنه لا وجود لملكة ذهنية تختص بالإبداع.

تتخذ الشعرية العرفانية من العلوم العرفانية مرجعية لها؛ فهي تأخذ من "علم النفس العصبي والأسلوبية والنظرية الأدبية"[18]. وقد استثمرت الشعرية العرفانية بحوث العلوم المعرفية في "البحث عن العمليات الذهنية البسيطة الغير واعية التي تحدث في عقولنا عندما نقرأ ونفهم ونؤول، وعندما نبدع كذلك"[19].

لا تفرّق الشعرية العرفانية بين القارئ العادي والقارئ الخبير؛ لأن مجال اشتغالها علمي بحت، وقد "سعى العرفانيون إلى جعل اختباراتهم على القارئ العادي بحثا عن العمليّات الذهنية البسيطة غير الواعية التي تحدث في عقولنا عندما نقرأ ونفهم ونؤول، وعندما نبدع كذلك"[20]. وهذا الطرح ينطلق من فرضية مفادها أن القدرات الذهنية متشابهة عند كل الأفراد، ولا يوجد فرق بين عقل المبدع وعقل الإنسان العادي، ولا يحتوي العقل البشري على ملكة ذهنية خاصة بالإبداع.

يتناقض هذا الطرح مع نظرية القراءة والتلقي التي تؤمن بتعدد القراء واختلاف رصيدهم المعرفي والثقافي؛ فالقراءة تتخذ أشكالًا متعددة وتتنوع بتنوع القرّاء؛ فالقراءة النقدية تكشف البعد الأيديولوجي في النص، والقراءة التأويلية تبحث عن الدلالات الجديدة، أما القراءة الجمالية فتبرز مواطن الجمال في النصوص الأدبية.

2/ السرديات العرفانية (Cognitive Narratology)

تنهل السرديات العرفانية من نتائج العلوم العرفانية، وتطرح أسئلة تتمحور حول العمليات الذهنية المرافقة لعملية قراءة النصوص السردية وتحليلها، كما أنها تشيد بدور السرد في تنشيط القدرات الذهنية؛ فقد "سعت دراسة جديدة للتصوير الدّماغي إلى تفسير ما تعنيه عبارة "تاه في كتاب جيّد" وأشارت هذه الدراسة إلى أن القراء يخلقون محاكاة ذهنيّة حيّة للأصوات والإيماءات والأذواق والحركات الموصوفة في قصة مكتوبة، وأنّه يتم خلال هذه المحاكاة تفعيل مناطق الدّماغ نفسها التي تفعل في تجارب مماثلة في الحياة اليومية"[21]؛ فالمحاكاة الذهنية التي تترافق مع عملية القراءة تؤدي دورًا كبيرًا في تجديد حياة العقل البشري، وقراءة القصص تحفز خلايا الدماغ، وتُكسب القارئ تصورات ذهنية لا تختلف عن التصورات التي يخلقها في ذهنه عند احتكاكه المباشر بالواقع.

تنطلق السرديات العرفانية من فرضية مفادها أن السرد طريقة في التفكير، وهذه الفرضية حوّلت اهتمام الدارسين من " العقل الذي يفكّ شفرة الحكاية إلى العقل الذي يدركها"[22]؛ فوظيفة السرديات العرفانية هي طرح أسئلة حول العمليات الذهنية التي تشتغل في ذهن القارئ، وحول كيفية إدراك العقل البشري للمعرفة والتصورات التي تبثها القصص والروايات في ذهن القراء.

تزعم اللسانيات العرفانية أن البشر لا يتواصلون من خلال اللغة فقط، بل من خلال الحكايات التي ينسجها العقل البشري. ولهذا الطرح مثيل عند "بول ريكور" الذي يؤمن بأن القصص والحكايات طريقة في التفكير، و "أن الحياة لا تفهم إلا من خلال القصص التي نرويها عنها"[23]؛ فالإنسان يحيا ويتواصل عن طريق الحكايات التي ينسجها حول نفسه وحول العالم، والقص ضروري لتحقيق التواصل بين أجيال الثقافة الواحدة؛ لأن الحكي يشبه اللغة في نقله للاستعارات الثقافية التي يؤلفها الأفراد الذين ينتمون إلى مجتمع ثقافي واحد.

طرح الباحثون سؤالًا إشكاليًا حول إمكانية استفادة العلوم العرفانية من السرديات؛ فـ "العلم التجريبي يحتاج إلى فرضيات ليفحصها، ولكن عندما يهتم بالنّشاط الذهني الذي يثيره السّرد، فأين سيجد هذه الفرضيّات؟ إن لم يجدها في دراسة القصة؛ فلن يجدها في السّرديّات. وعندما يقوم علماء النّفس بتصميم تجارب لدراسة مسائل من قبيل كيف تخلق الحكايات التّشويق؟ وكيف يتعامل القرّاء مع العوالم الغير متناسقة منطقيّا؟ أو ماذا يعني أن تكون مغمورا في عالم سرديّ؟ سيكونون على بيّنة بهذه المشاكل بفضل السّرديّات"[24]؛ فعلم السرد له القدرة على الإجابة عن بعض الأسئلة التي تطرحها العلوم العرفانية؛ لأن القص متصل بالعقل والذكاء.

إن ما يدعم فرضية استفادة العلوم العرفانية من حقل الأدب والإبداع هو أن القص طريقة في التفكير، وهو مرتبط بالذهن؛ فـ "علماء الأدب والفن متفهمون للأعمال المعقدة في الإبداع والابتكار واللغة والتمثلات البصرية وبناء المعنى. إنهم يقدمون أمثله رائعة ومضيئة غالبًا ما تجعل من تعقيدات العملية الذهنية شيئًا يسيرا على الفهم والتبصر. إن لديهم حدسًا مدربًا جيدًا فيما يتعلق بتعقيدات الظواهر اللغوية والذهنية"[25]؛ بمعنى أن الأدب يمكن أن يمدّ العلوم العرفانية بأجوبة تزيل الغموض الذي يكتنف عملية قراءة النصوص الأدبية وتأويلها؛ لأنّ المشتغلين في حقل الأدب لا يستحضرون تعقيدات العملية الذهنية أثناء عملية القراءة، ويؤمنون بأن قراءة النص الأدبي تحتاج إلى قارئ خبير

ومدرب على التعامل مع الرموز التي تتضمنها النصوص الإبداعية، وهم يعتمدون على الحدس والخبرة التي تُكتسب من التعامل مع النص الأدبي على المدى البعيد.

3/ السيميائيات العرفانية (Cognitive Semiotics)

السيميائيات العرفانية حقل معرفي يجمع بين علم السيمياء والعلوم العرفانية التي تختص بدراسة الإدراك والذهن البشري؛ وهي تدرس "كيفية بناء المعنى وفهمه في أثناء عملية التواصل بالعلامات والرموز القابلة للتعرف عليها"[26]؛ بمعنى أنها بحث في العمليات الذهنية المرافقة لقراءة الرموز والعلامات التي تتضمنها الخطابات اللغوية وغير اللغوية، وإذا كانت اللسانيات العرفانية تعنى بعلاقة اللغة بالذهن، فإن السيميائيات العرفانية بحث في مدلولات الرموز الثقافية على اعتبار أن الثقافة نص كبير يمكن تأويله.

يذهب هذا الحقل المعرفي أبعد من الخطاب في دراسة الرموز الثقافية التي يتعارف عليها أبناء الثقافة الواحدة؛ "فما تنشده السيميائيات المعرفية هو الكشف عن قوالب المعنى المشتركة التي تدعم الثقافة البشرية كما هي موجودة"[27]؛ فهي تهدف إلى البحث في الدلالات المشتركة بين الثقافات عن طريق تأويل الرموز الثقافية التي تشترك فيها شعوب العالم، كما أنها تبحث في طريقة تعامل الذهن البشري مع المظاهر الثقافية.

استفادت السيميائيات العرفانية من بحوث العرفانيين حول مفهوم "الاستعارة التصورية" في ربطها بين اللغة والذهن وإدراك العالم، "إذ يذهب باحثوا هذا العلم في دراستهم لمجموعة التعبيرات الاستعارية التي تشيع في الخطاب الأدبي اللغوي إلى أنها تمثيلات لمفاهيم وتصورات معرفية ينبثق منها الوعي وتتفاعل مع الثقافة والسلوك الإنساني"[28]؛ فالاستعارات تؤدي دورًا يوازي من حيث أهميته ذلك الدور الذي تؤديه حواسنا في مباشرة إدراك العالم وممارسة تجربته. وإذا صح كل هذا، فلن تكون الاستعارة مظهرًا لغويًا صرفًا، بل ستكون مظهرًا ثقافيًا[29]، وهذا يمكّن النقاد من استثمار الاستعارة التصورية في استنطاق الأبعاد الفكرية والثقافية للخطاب؛ لأن الاستعارة التصورية ليست زخرفا لفظيا بل هي خطاب مُصغر يتضمن أنساقا ثقافية مضمرة.

4/ اللسانيات العرفانية وتحليل الخطاب

تتجلى علاقة العلوم العرفانية بتحليل الخطاب في توظيف بحوث الاستعارة التصورية في الكشف عن الأنساق المضمرة في الخطابات الأدبية. وقد تضمن كتاب "الاستعارات التي نحيا بها لـ "لايكوف وجونسن" إشارات واضحة إلى تلك العلاقة الواشجة بين تكريس استعارات تصورية معينة في أطر تاريخية أو ثقافية معينة وهيمنة قوى اجتماعية أو سياسية في هذه الأطر"[30]؛ فالجماعات المهيمنة يمكن أن تروج لنوع محدد من الاستعارات بهدف خدمة مصالحها وتعزيز هيمنتها، كما يمكن أن توظف الاستعارة لتمرير أيديولوجيات معينة. ويمكن توظيف هذا الطرح في البحث عن الأيديولوجيات التي شاعت في عصر الكاتب، وفي الكشف عن الأنساق المضمرة في الخطابات الأدبية عن طريق تأويل الاستعارات التي تضمنها النص أو الخطاب؛ لأن النص يمتص السياقات الثقافية التي هيمنت على عصر الكاتب، ويعيد إنتاج هذه السياقات دون وعي منه.

ولهذا الطرح مثيل عند "ميشال فوكو" في تحليل الخطاب وكشف علاقة القوة بالمعرفة؛ فالاستعارة هي شكل من أشكال المعرفة، والنص الأدبي جزء لا يتجزأ من الخطاب الثقافي السائد في مجتمع ما، ولا شك في أن النص سيعيد إنتاج الاستعارات التي كانت سائدة في الثقافة التي أنتجته.

يوظف النقد العرفاني مفهوم العرفنة الاجتماعية في تحليل الخطاب. وتقوم العرفنة الاجتماعية على الجمع بين ثلاثة عناصر، هي: الخطاب، والعرفنة، والمجتمع. و"فيها لا يُتناول الخطاب من حيث كان مجرد بنية لغويّة ولا تتناول العرفنة من حيث كانت مجرد عمليّات نفسيّة ذهنيّة وإنما يتناولان من حيث كان للواحد منهما بعد اجتماعي يمثله ويحدّده"[31]؛ فدراسة اللغة تمكّننا من كشف البنيات الاجتماعية، ولكنها تعيد -في الوقت نفسه- فرض هذه البنيات الاجتماعية عن طريق اللغة.

إن استفادة حقل تحليل الخطاب من العرفانيات يتجلى في الكشف عن البعد الأيديولوجي للاستعارة؛ لأن الاستعارة تُخزن مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي تعبر عن أيديولوجيا الجماعات اللغوية، كما يتجلى في مفهوم العرفنة الاجتماعية الذي يكشف عن تورط اللغة في تعزيز بنى الهيمنة في المجتمع.

-. خاتمة:

ختامًا، يمكن أن نجمل نتائج البحث في النقاط الآتية:

✓ تلتقي العلوم العرفانية في نقطة مشتركة؛ هي البحث في الذهن البشري.

✓ تُعدّ اللسانيات العرفانية فرعًا من العلوم العرفانية، وهي مبحث يختص بدراسة العلاقة بين اللغة، والذهن، والتجربة.

✓ يُعرّف النقد الأدبي العرفاني بأنه مقاربة بينية تبحث في العمليات الذهنية المصاحبة لفهم النصوص الأدبية وتأويلها.

✓ تهتم الشعرية العرفانية بالبحث في عرفان القارئ؛ أي العمليات الذهنية المصاحبة لفعل القراءة والتأويل، وهي لا تفرق في بحوثها بين القارئ العادي والقارئ الخبير.

✓ تنطلق السرديات العرفانية من فرضية أن السرد له دور في تحفيز خلايا الدماغ وتنشيط القدرات الذهنية، وتؤمن بأن السرد طريقة للتفكير، وأن الإنسان يتواصل عن طريق القصص التي يؤلفها حول نفسه وحول العالم.

✓ استفادت العلوم العرفانية من الأدب في تبسيط العمليات العقلية عن طريق الحدس.

✓ تُعنى السيميائيات العرفانية بالبحث عن المعاني المشتركة بين الثقافات المختلفة، وتوظف بحوث اللسانيات العرفانية في تفسير الرموز والعلامات التي تتضمنها الخطابات اللغوية وغير اللغوية.

✓ كشفت البحوث التي تربط بين اللسانيات العرفانية وتحليل الخطاب عن دور الاستعارة في كشف بنى المهيمنة في الخطابات الأدبية، وأثبتت أن البحث في اللغة يكشف البنى الاجتماعية المهيمنة، غير أن اللغة تعيد إنتاج هذه البنى بطريقة لا واعية.

وفي الأخير، يمكن القول إن النقد الأدبي العرفاني مازال يواجه تحديات عديدة؛ أبرزها عدم وضوح إجراءاته، بسبب عدم اتفاق المشتغلين فيه على نقاط مشتركة يمكن اعتبارها مداخل ثابتة لقراءة النص الأدبي من منظور عرفاني.

-. الهوامش:

1 عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2015، ص25.

2جورج لايكوف ومارك جونسون، الفلسفة في الجسد (الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي)، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2016، ص18.

3الأزهر الزناد، النص والخطاب (مباحث لسانيّة عَرْفنيّة)، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2011، ص21.

4المرجع نفسه، ص 22.

5محمد الصالح البوعمراني، اللسانيات العرفانية ومقاربة الخطاب الأدبي، مجلة اللغويات التطبيقية، المجلد 1، العدد 2، 2024، ص288.

6لارزيا بيليخوفا، مقالتان في إدراكيات النص الشعري، تر: محي الدين محسب، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017، ص144.

7المرجع نفسه، ص143.

8ينظر محمد مرتضى صادق، كتاب: الإدراكيات (أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية)، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017، ص600.

9محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم (النقد المعرفي والمثاقفة)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص278.

10محمد الصالح البوعمراني، اللسانيات العرفانية ومقاربة الخطاب الأدبي، ص306.

11محي الدين محسب، الإدراكيات (أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية)، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2017، ص 192.

12 المرجع نفسه، ص195.

13 ينظر محمد مرتضى صادق، كتاب: الإدراكيات (أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية)، ص599.

14بيتر ستوكويل، الأسلوبية العرفانية، تر: رضوى قطيط، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017، ص107.

15محمد الصالح البوعمراني، اللسانيات العرفانية ومقاربة الخطاب الأدبي، 289.

16محي الدين محسب، الإدراكيات (أبعاد إبستمولوجية وسمات تطبيقية)، ص193.

17بيتر ستوكويل، الأسلوبية العرفانية، تر: رضوى قطيط، ص107.

18 المرجع نفسه، ص107.

19محمد الصالح البوعمراني، اللسانيات العرفانية ومقاربة الخطاب الأدبي، ص304.

20 المرجع نفسه، 304.

21 ماري لوريان، السرديات والعلوم العرفانية «علاقة إشكالية»، تر: سمير القسيمي، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017، ص186.

22المرجع نفسه، ص196.

23بول ريكور، الوجود والزمان والسرد (فلسفة بول ريكور)، تر: سعيد الغانمي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص30.

24ماري لوريان، السرديات والعلوم العرفانية «علاقة إشكالية»، ص200.

25 مارك تيرنر، الدراسة الإدراكية للفن واللغة والأدب، تر: رانية خلاف، ص140.

26عمر بن دحمان، تأويل المعنى الاستعاري من منظور سيميائي معرفي، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017، ص363.

27المرجع نفسه، ص364.

28 إبراهيم بن منصور التركي، البعد الفكري والثقافي للاستعارة في البلاغة العرفانية، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017، ص452.

29ينظر جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ص المقدمة.

30محي الدين محسب، الإدراكيات (أبعاد إبستمولوجية وسمات تطبيقية)، ص182.

31الأزهر الزناد، النص والخطاب، ص60.

-. قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم بن منصور التركي، البعد الفكري والثقافي للاستعارة في البلاغة العرفانية، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017.
2. الأزهر الزناد، النص والخطاب (مباحث لسانيّة عَرْفنيّة)، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2011.
3. بول ريكور، الوجود والزمان والسرد (فلسفة بول ريكور)، تر: سعيد الغانمي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1999.
4. بيتر ستوكويل، الأسلوبية العرفانية، تر: رضوى قطيط، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017.
5. جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، (د.ط)، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، (د.س)،
6. جورج لايكوف ومارك جونسون، الفلسفة في الجسد (الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي)، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2016.
7. عمر بن دحمان، تأويل المعنى الاستعاري من منظور سيميائي معرفي، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017.

8. عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2015.
9. لارزيا بيليخوفا، مقالتان في إدراكيات النص الشعري، تر: محي الدين محسب، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017.
10. مارك تيرنر، الدراسة الإدراكية للفن واللغة والأدب، تر: رانية خلاف، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017.
11. ماري لورريان، السرديات والعلوم العرفانية «علاقة إشكالية»، تر: سمير القسيمي، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017.
12. مجموعة مؤلفين، دراسات في اللّسانيّات العرفانيّة (الذّهن واللّغة والواقع)، ط1، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2019.
13. محمد الصالح البوعمراني، اللسانيات العرفانية ومقاربة الخطاب الأدبي، مجلة اللغويات التطبيقية، المجلد 1، العدد 2، 2024.
14. محمد مرتضى صادق، كتاب: الإدراكيات (أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية)، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2017.
15. محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم (النقد المعرفي والمثاقفة)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000.
16. محي الدين محسب، الإدراكيات (أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية)، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2017.